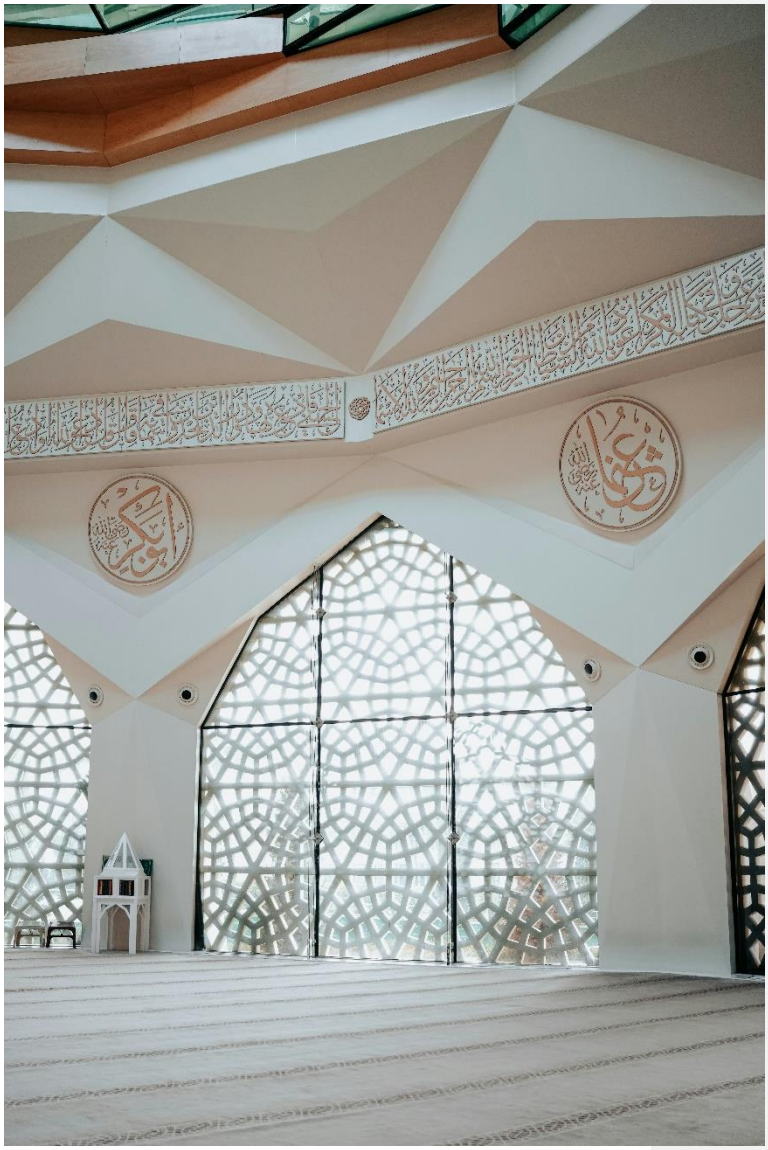

و للروح ارتواء

تفريغ محاضرة

علامات القبول

رواء الاثنين | د.هند القحطاني

١٩-١٠-١٤٤٢ هـ

علامات القبول

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهدهِ الله فلا مُضل ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً رسول الله، أما بعد..

مربط الفرس هو متانة البناء وهذا الذي نريد أن نتحدث عنه اليوم ولنرى بناءنا الذي بنيناه في رمضان كيف حاله؟ فنعود من حيث ابتدأنا؛ لأن الطريق واحد والمنهج واحد فلا يوجد شيء نفعه لمرحلة وقتيه ثم نتركه لوقت آخر ولذلك دعونا نعود إلى بنائنا الذي بنيناه في رمضان وما قبل رمضان ولنتفقد أحواله و نتساءل عن علامات قبوله هل قبله الله عز وجل أم لم يقبل،

لو أرجعتكم إلى ثلاث أسابيع قبل العيد في رمضان نراجع إنجازاتنا فيه، تذكرون درسنا الذي كان بعنوان "رمضانك الأخير" وقلنا أنك أنت تعيش رمضان وكأنه رمضانك الأخير فأخرج ما عندك وأقصى ما عندك،

فما هي الأخبار؟ ما أخبارك مع رمضان؟ ما أخبارك مع قيام الليل؟ ما أخبارك في ختماتك؟ في أعمال البر؟ في دعائك لله عز وجل؟ في علاقتك مع الله عز وجل؟ كم مرة رفعت يديك وشعرت أن الدعاء ساخن وأنك تدعو الله عز وجل بقلب يرجف خائفًا؟ كم مرة صليت صلاة وشعرت أن قلبك حاضرا فيها وليست صلاة جسد أو بدن فقط؟

هذه الإنجازات حاولوا أن تعيدوها ولنقارنها بأناس آخرين، اليوم مثلاً وصلتني مجموعة من إنجازات أناس كانوا قد تعاهدوا أنهم سيسابقون السلف.. هؤلاء عندما ينوون ختم القرآن، يتنافسون مع السلف الصالح، مع عبدالله بن المبارك مع فضيل بن عياض مع أبي سلمة مع عثمان بن عفان ومع غيرهم من الصحابة، فيقولون لماذا استطاعوا ولم نستطع، فراجعوا عبادات السلف في رمضان وماذا كانوا يفعلون، عثمان رضي الله كان يقرأ القرآن كاملا في ركعة، والإمام أحمد كان يصلي في اليوم العادي دون رمضان ١٠٠ ركعة،

فأخذوا هذه العبادات ووضعوها أمامهم وقالوا ماذا نستطيع أن نعمل طالما أننا في رمضان، ومجموعة منهم خارج السعودية وفي إجازات فيستطيعون أن يدخلوا في هذا التحدي، سأقرأ لكم بعضا من إنجازاتهم:

- واحد منهم استطاع أن يختم خمسة عشر ختمة في رمضان، أي كل يومين ختمة.

_ واحد منهم ختم ثمان ختمات قراءة وأربعة بالتهجد

- منهم من قرأ عن أبي هريرة رضي الله عنه أو غيره؛ أنهم كانوا يستغفرون في اليوم الواحد ١٢٠٠٠ استغفار فحاول أن يصل لأقصى ما يستطيع فبلغ ٨٠ ألف استغفار، عرف أن أحدا من السلف كان يصلي ما يقرب من ١٠٠ ركعة فحاول أن يأتي بها.

طبعاً السنة في ذلك هي سنة النبي ﷺ والحاضر في سنته عليه الصلاة والسلام أنه ما كان يزيد في اليوم عن ١١ ركعة غير السنن الرواتب والواجبات، وفي الذكر جاءت الأحاديث بـ ١٠٠ استغفار و١٠٠ تسبيحة

و١٠٠ تهليله، وقد جاءت الأذكار فيها واضحة، والله عز وجل أمر بالعمل الوحيد الذي نكثر منه وهو ذكر الله تعالى، وأثنى الله عز وجل على الذاكرين الله كثيراً والذاكرات، وقلب في القرآن ولن تجد ذكر الله إلا ويأتي معها كثيرًا، هذه كثيرًا هي التي حاولوا أن يأتوا بها،

فكيف نأتي بكثير؟ الذكر موجود كرقم كالتي وردت في السنة سواءً ٣ مرات أو ٣٠ مرة أو ١٠٠ مرة، هؤلاء حاولوا أن يكثروا ولا حد للإكثار ولذلك النبي ﷺ قال: «لَا يَزَالُ لِسَانُكَ رَطْبًا مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ» [أخرجه الترمذي في سننه، وقال الألباني: صحيح]

لو أردت أن تجعل لسانك رطبًا من ذكر الله عز وجل فكم ستصل!! لا عجب أن ذاك وصل إلى ٨٠ ألف استغفار.

- أحدهم وصل إلى ٧٠٠ ركعة في اليوم، فهو يتسنن، ولذلك الأزمان والأماكن الشريفة يُسن فيها الإكثار من العمل الصالح، مثلا لو ذهب أحدهم إلى مكة في العشر الأواخر، فالركعة بـ ١٠٠ ألف هناك كل شيء يتضاعف، تسبيحتك تهليلك، والصلاة بـ ١٠٠ ألف صلاة، فمن الخسارة أن تضيع أي دقيقة أو أي ساعة من هذه الأيام فضلاً أنه من الممكن أن يكون واحدًا من الأيام ليلة القدر فهي مضاعفة، فهؤلاء يقومون بمثل هذه الأرقام بـ ١٠٠ ركعة أو ٧٠٠ ركعة في مواسم فاضله وليس هذا هو دأبهم .

لماذا نقول هذا الكلام؟ حتى تعرف متانة البناء تحتاج أن يكون عندك عمل صالح يقويك وعندك مخزون من الحسنات،

هؤلاء اجتهدوا وأنت اجتهدت وأنت عندك عملك القليل، وبالتأكيد إذا وضعنا عملنا مع هؤلاء الناس يستقل الإنسان عمله، لكن الأهم من هذا أن نعرف أن القضية ليست بالكم، ولكن بالكيف، وليست أن الله ينظر إلى العدد فقط، ولكن ينظر إلى القلب الذي عمل العمل هل هو مخلص؟ هل هو على سنة النبي ﷺ؟ أم لا.

ولذلك دعونا اليوم نتفحص هذا العمل ونعرف علامات قبول هذا العمل، فهناك مجموعة من العلامات يجب أن نتفقدها في أنفسنا، لأنها إن كانت موجودة يفرح الإنسان بها وبأن عنده شيء من علامات قبول عمله، أو أن يخاف الإنسان إذا لم تظهر له، وهذا الخوف ليس خوف إحباط ولا خوف يأس، فأنت ليس عندك إلا حياة واحدة ليس فيها مجال لليأس أو الإحباط أو الاستسلام، فمعناه أنك ترجع إلى ربك مرة أخرى وتستسمحه و تستعتبه وتستغفر الله من تقصيرك وتعود مرة أخرى إلى العمل الصالح .

يقول علي رضي الله عنه: "**يُنادَى في آخر ليلة من رمضان: ليت شعري من المقبول فنهنيه، ومن المحروم فنعزيه**" ولذلك كان اهتمامهم بقبول العمل كبيرا جدًا، لم يكن همهم متى ينتهي رمضان، بل يا رب كما وفقتنا للعمل هل وفقتنا للقبول؟ فهل تقبلت يا رب منا أم لا، فما هو رمضان بصفحة وانطوت، بل نريد أن نعيد النظر إلى أعمالنا في رمضان هل تقبلها الله عز وجل منا؟

أول علامة من علامات هذا القبول

هي ما كررناه كثيراً في رمضان كنا نقول: «مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ، وَمَنْ قَامَ لَيْلَةَ القَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ» [أخرجه البخاري، صحيح] السؤال: **متى تحصل المغفرة والتكفير التام للذنب بناءً على هذه الثلاثة؟**

فليلة القدر مباشرة لو أصبت فيها عملا صالحا ما يطلع فجرها إلا ومغفور لك ما تقدم من ذنبك، نحن لا نعرف متى ليلة القدر، ولكن إذا رفع لك فيها عمل صالح متقبل برجاء من عندك وإخلاص أن الله عز وجل يبلغك هذه الليلة فما يصبح فجرها إلا وقد غُفر لك ما تقدم من ذنبك تماماً.

طيب الاثنتان الباقيتان، متى يحصل تكفير الذنوب؟

مع فجر العيد، فمن قام رمضان دون أن يفوته فيه ليلة، و صامه كاملا، ولا نتكلم عن أصحاب العذر الشرعي أو العذر الصحي، نتكلم عن التفريط في رمضان تقصيرًا أو تهاونًا أو كسلاً، وكان الله عز وجل يراك طوال الثلاثين يومًا وأنت على قدميك ويدك مرفوعة: يا رب تقبل مني، فمع فجر العيد والناس فرحين وتجهز ورودها والشكولاتة هناك نوع من الجوائز يوزع على الناس، لأولئك الذين صاموا رمضان وقاموا رمضان بأن عداداتهم كلها صُفرت فغفر الله لهم ما تقدم من ذنبهم.

أنا وأنت لا زلنا أحياء إلى يومنا هذا و الله بلغنا نعمة التمام كما بلغنا نعمة البلوغ فأول علامات القبول بأن يمن الله عليك بنعمة الشكر، فيكون الشعور بالامتنان والشكر لله عز وجل بأن يا رب لك الحمد أن بلغتنا رمضان وأن بلغتنا تمامه وأن وفقتنا إلى صيامه وقيامه.. لم يفرط منا يوم ولم يفرط منا الصيام، فعلنا ذلك بقلوب ترجو وتخاف،

فأول علامات القبول أن يكون عندك هذا الشعور بالشكر والامتنان لله عز وجل.

عندما نتحدث عن الشكر، نذكر قول موسى عليه السلام لله عز وجل: " أنا إن بلغت رسالاتك فمن عندك وإن صليت فمن عندك فكيف أشكرك؟" فقال تعالى: "الآن أنت شكرتني"، وتعليق العلماء على هذا: "فإن العجز عن الشكر من تمام الشكر"، فعجزك عن الشكر، شعورك بأن يا ربي من أكون لأستحق أن تمن علي بأن أبلغ رمضان كله فأكون من ضمن هؤلاء الفائزين، بأنك أحييتني إلى التمام، شعورك هذا ليس شيئا عاديا، وهذا الشكر لبلوغ رمضان وإتمامه، من أشد أنواع الشكر التي يجب أن يقوم بها الإنسان.

العلامة الثانية من علامات القبول:

بعد الشعور بالشكر والامتنان بأن الله منّ عليك لتصل إلى نهاية الشهر، فيرد على القلب نوع من التقصير، ويتذكر الأخطاء التي فلتت منه، كنظرة حرام أو سماع حرام أو كلمة حرام أو انكشاف شيء من جسدك بالحرام أو في حجابك أو وجهك أو أيًا كان، الآن هذا الشيء الذي يتحسف عليه الإنسان فيشعر أن صيامه قد ثلم وجرح.

نأتي إلى العلامة الثالثة وهي: **توبة المقصر، أن تتوب إلى الله عز وجل من التقصير**، وتستسمح الله و تستعتبه وتطلب منه أن يكفر عنك تقصيرك وتهاونك، والتذكير بتوبة المقصر ليست لأنه هناك من لا يريد أن يستغفر الله، ولكن تجد من لا يذكر متى استغفر آخر مرة، فمتى هي آخر مرة جلست فاستغفرت الله عن تقصيرك أو عن تهاونك

أو عن ذنب سرقه الشيطان منك؟ متى آخر مرة قلت من قلبك استغفر الله استغفر الله.. ما قلتها وأنت تضحك أو تتمتم بالكلام، قلتها متيقنا منها يا رب أستغفرك وأنت الغفار أن تغفر لي ذنبي، فكانت أستغفر الله تخرج من قلبك.

قال أحد العلماء لابنه: **يا بني عوّد لسانك الاستغفار، فإن لله ساعات لا يرد فيهن سائلاً.**

فتوبة المقصر هي أن يكون استغفارك وتوبتك حاضرة طوال الوقت، تستغفر الله لأنك لا تعرف متى تتنزل الرحمة.

قال الله عز وجل في كتابه: (فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ) (محمد:١٩)، هنا أبحر العلماء في الجمع بين الإثنين، بين أعظم الإيمان شهادة أن لا إله إلا الله، والاستغفار، فلماذا لم يأت من العمل بعدها إلا الاستغفار، يدل ذلك على أهميته، وأهمية التوبة في الحفاظ على إيمانك والحفاظ على لا إله إلا الله.

قال إبليس: أهلكت الناس بالذنوب، وأهلكوني بلا إله إلا الله والاستغفار.. فكل ما أهلكك إبليس بذنبٍ وكل ما رق منك ذنب نظرة، أو سماع، أو فلتت قدمك لمكان، كل ما استطاع إبليس أن يسرق منك ذنبا أهلكه أنت بالاستغفار والتوبة.

لماذا نتحدث عن توبة المقصر؟ لأن ختام كل عمل صالح يجب أن يكون بالاستغفار، ولذلك أول أذكار الصلاة أنك تستغفر الله ثلاثًا

كان عمر بن عبد العزيز يُرسل إلى الأمصار والخلفاء فيأمرهم بختم رمضان بالاستغفار والصدقة وهي صدقة الفطر، وكان يقول: قولوا كما قال أبوكم آدم: { رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ } (الأعراف:٢٣)، وقولوا كما قال نوحٌ عليه السلام: { وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ } (هود:٤٧)، وقولوا كما قال إبراهيم عليه السلام: { وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ } (الشعراء:٨٢)،

هؤلاء أولوا العزم من الرسل وهذا تبتلهم إلى الله عز وجل و استغفارهم، إبراهيم عليه السلام أبو الأنبياء وصاحب التسليم والقلب السليم هو الذي يستغفر الله عز وجل والذي يطمع بالمغفرة، لاحظوا الرجاء والخوف والرهبة المزجاة في هذه الكلمة { وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ }، ونوح عليه السلام ٩٥٠ سنة يدعو بعمل صالح ومع ذلك يقول { وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ }، إذا كانت هذه استغفار الأنبياء فكيف يجب أن يكون استغفارانا نحن؟ كيف خرجنا من رمضان ونحن نظن أن ليس عندنا ذنب واحد ولا خطيئة واحدة وكيف خرجنا ونحن نظن أنها صفحة وانتهت.

ولذلك من علامات القبول أن يكون لك توبة كما سماها العلماء بتوبة المقصر.

العلامة الثالثة من علامات القبول:

وجل القلب، لأن القبول إنما يكون للمتقين، يقول علي رضي الله عنه: (إني أتمنى لو أني أعلم أن الله تقبل مني ولو ركعة واحدة) فكان الذي أمامه عنده هذا التساؤل: يعني ركعة واحدة وأنت علي بن أبي طالب لماذا لا يتقبل الله منك كل عملك ؟ فقال علي: {إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ} (المائدة:٢٧) آية محكمة في الكتاب.

إذا قبول العمل لا يكون إلا من المتقي حق التقوى، فهذا العمل يجب أن يكون خالصًا لله عز وجل فعلته وأنت متقٍ عذاب الله راجيًا ما عند الله عز وجل فإذا حققت هذا قُبل منك العمل، ولذلك وجل القلب أنك تجتهد في العمل وتجتهد بكل الأسباب ثم يدخلك هذا الهم هل قبل الله عز وجل منك هذا العمل أم لا، ولذلك تذكرون حديث عائشة زَوْجَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَتْ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ هَذِهِ الآيَةِ:

{وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ} [المؤمنون: ٦٠] قَالَتْ عَائِشَةُ: أَهُمُ الَّذِينَ يَشْرَبُونَ الخَمْرَ وَيَسْرِقُونَ؟ قَالَ: " لَا يَا بِنْتَ الصِّدِّيقِ، وَلَكِنَّهُمُ الَّذِينَ يَصُومُونَ وَيُصَلُّونَ وَيَتَصَدَّقُونَ، وَهُمْ يَخَافُونَ أَلَّا تُقْبَلَ مِنْهُمْ {أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ} [المؤمنون: ٦١] "[أخرجه الترمذي في سننه، وقال الألباني: صحيح]، لماذا هذه الخشية؟ هل هم أناس ما قدروا الله عز وجل حق قدره؟ ما عرفوا كرم الله وما أحسنوا الظن بالله؟ لا! طوال الوقت ونحن نقول لا نعبد الله بالرجاء وحده بل نعبد الله على جناحي الطائر الرجاء والخوف.

تحسن الظن بالله وبكرم الله وأن الله يتقبل وأن الله رحيم وفي نفس الوقت تخاف من نفسك وتخاف من ذنبك وتخاف أن ما فعلته دخلته شعرة من الرياء أو شعرة من الإعجاب بالنفس، تفتح مواقع التواصل الاجتماعي فترى الناس في احتفالات وأنت تقرأ القرآن في مصلاك فتشعر أنك أفضل منهم، ليس بتوفيق الله عز وجل بل بجهدك وقراراتك، هذا الشعور فيه شيء من العجب بالنفس، هناك شعرة بين أنك تحمد الله على ولايته وعلى تدبيره وأنه سبحانه أحاطك ووفقك إلى هذا العمل الصالح، وبين أنك تعلن أن كل ما بك هو منك، وأن أعمالك الصالحة هي بقراراتك الشخصية وأنك لو لم ترد لما فعلت، هناك أناس تظن أن العمل الصالح هو قرارات شخصية وهو ليس كذلك، ولذلك قال تعالى: {إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ}.

يقول أحد السلف: " **كانوا لقبول العمل أشد منهم اهتمامًا بالعمل ذاته**"، وعن فضالة بن عبيد -صحابي رسول الله- قال: (أن أعلم أن الله قد تقبل مني مثقال حبةٍ من خردل، أحب إليَّ من الدنيا وما فيها؛ لأن الله يقول: { إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ })، قال أحدهم لو أعلم أن الله تقبل مني ركعتين لا أهتم بعدها؛ لأنه يقول : { إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ }، هؤلاء أناس كانت تقرأ القرآن وتفهم لم يمروا على الآيات ثم يركنونها، فلما كانوا يمرون على مثل هذه الآية { إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ } كانوا يعرفون أن هذه علامة وهذا شرط، فشرط التقوى هو شرط لقبول العمل.

العلامة الرابعة من علامات القبول:

الاستمرار على الطاعة بعد رمضان، امتنع الإنسان عن نوع من الذنوب أو المعاصي أو شيء من الفسق والفجور أو النظر لها أو مشاركتها خلال رمضان، **فعلامة القبول أنك لا تعود لهذا الذنب وأن تستمر في طاعاتك التي ابتدأت بها وهذا الاستمرار هو من أكبر علامات القبول**؛ ولأن الله عز وجل عندما أنزل سورة الفرقان وصف عباد الرحمن بمجموعة من الصفات وفي سورة المؤمنون كذلك { قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ } (المؤمنون:١)، تعال إلى هذه الصفات حتى نعرف كيف نقرأ القرآن ثم ننزله في حياتنا فيكون منهجًا للحياة، ارجع إلى القرآن ولكلام السلف ولتفسيراتهم ولحديث الرسول ﷺ فتكون الصورة واضحة تمامًا عندك.

قال الله عز وجل: (قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ)(المؤمنون:١،٢)، خاشعون في رمضان فقط؟ لا، في مواسم الطاعات فقط؟ لا، خاشعون: أي هم دائمًا خاشعون، قال الله عز وجل: { وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ}(المؤمنون:٤)، يفعلونها في رمضان فقط؟ لا، وإنما كل ما دار الحول على أي نوع من أموالهم المعينة فيجب أن يقيم الإنسان فيها زكاته، { وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ }(المؤمنون:٥) يحفظونها في رمضان فقط؟ لا، وإنما يحافظون عليها طوال حياتهم وهذا الحفظ لهذا الفرج له علامات: حفظ العين، حفظ الأذن، وحفظ اللسان «إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ عَلَى ابْنِ آدَمَ حَظَّهُ مِنَ الزِّنَا، أَدْرَكَ ذَلِكَ لاَ مَحَالَةَ، فَزِنَا العَيْنِ النَّظَرُ، وَزِنَا اللِّسَانِ

المَنْطِقُ، وَالنَّفْسُ تَمَنَّى وَتَشْتَهِي، وَالفَرْجُ يُصَدِّقُ ذَلِكَ كُلَّهُ وَيُكَذِّبُهُ»[أخرجه البخاري، صحيح] وآخر محطة الزنا، لكن لها بدايات ومقدمات قال الله عز وجل عنها: (وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُون) يحفظونها أصلا من البدايات، ولذلك يقول السلف: ضربة الخلخال {وَلا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ}(النور:٣١) ما المهم بضربة خلخال يكون لها صوت؟ لكن لأن الله يعلم أنها من مقدمات الزنا، فكل صوت كطقطقة الكعب وأي شيء كان إنما هي من المقدمات.

وقال الله عز وجل: {وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا}(الفرقان:٦٣)، هذا ديدنهم وهذه أخلاقهم فلا يمسكون لسانهم فقط في رمضان وإنما طوال الوقت وهم يحفظون ألسنتهم وحواسهم فيقول الله عز وجل عنهم: { وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا}(الفرقان:٦٤)، في رمضان فقط؟ لا.

هذه صفات عباد الرحمن، ولذلك لما تقرأ هذين الوجهين في آخر سورة الفرقان استشعر أي من هذه الصفات عندك؟ وأيها ليس كذلك؟ فتربي نفسك عليها، هؤلاء يبيتون لربهم سجدًا وقيامًا، قيام الليل موجود عندهم طوال الوقت، وفي آخر هذه الصفات قال الله عز وجل في سورة الحجر { وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ }(الحجر:٩٩) ما هو اليقن؟ ما الشيء الذي سينكشف عنه بصرك؟ { فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ }(ق:٢٢)، إنما هو الموت، فيعبد الإنسان ربه حتى تأتيه تلك للحظة الأخيرة، ولذلك إذا تذكرون لما نشرح (للصائم فرحتان: فرحة عند فطره وفرحة عند لقاء ربه) فللصائم هذه الفرحتان: فرحة عند فطره؛ لأنه انتهى فيها من صيامه المحدود، فربط النبي عليه الصلاة والسلام بين صيامك المحدود عن الطعام والشراب لمدة ١٢ ساعة تقريبًا، بالصيام الأكبر وهو صيام الحياة وأنت تصوم عن المحرمات التي حرمها الله عز وجل، فيكون فطرك متى؟ عند لقاء الله عز وجل، ويكون هذا الفطر هو الفرحة الكبرى عندما تبشر بروحٍ من اللَّهِ وريحانٍ وربٍّ راض غيرِ غضبانَ.

إذاً **لا شيء يفوت عند الله عز وجل ولا شيء يخرج من كل تضحياتك التي ضحيت فيها بشيء من هوى نفسك، أو من ذنوبك أو من الأشياء التي كنت مدمنًا عليها ثم تركتها لله عز وجل،**

ولذلك من أكبر الصور التي يستدل بها الإنسان على القبول هي الطاعة بعدها، كصيام الست من شوال، وحرص المسلمين على هذا الصيام ليكملوا فيه رمضان، رمضان فرض، وهذه الست سنة، وهذه السنة الآن أخبر عنها النبي ﷺ: «مَنْ صَامَ رَمَضَانَ ثُمَّ أَتْبَعَهُ سِتًّا مِنْ شَوَّالٍ، كَانَ كَصِيَامِ الدَّهْرِ»[أخرجه مسلم، صحيح] لماذا كصيام الدهر؟ لأن الحسنة بعشر أمثالها، ورمضان ثلاثون يومًا واضرب ٣٠ في ١٠ هذه ٣٠٠ يوم، ٦ أيام ضرب ١٠ هذه ٦٠ يومًا، مجموعهما ٣٦٠ فكم عدد أيام السنة؟ ٣٦٠ يومًا، فإذا صمت رمضان ثم ألحقته بهذه الست من شوال كانت كصيام الدهر.

إذاً تخيل لو كنت ممن يحافظ على الست من شوال طوال عمرك، من حين أن كبرت وأمك ربتك على الستة من شوال هذه، وعندنا علم اليقين أنها سنة لكن أمهاتنا _أسأل الله أن يجعلهم في الفردوس الأعلى ووالدينا_ كانت عندهم السنن مثل الفرائض، تصلي فرضًا من غير سنة لم يكونوا يعدونها صلاة، فالست من شوال لو كنت طوال عمرك إلى أن يقبضك الله عز وجل وأنت تصومها، فأنت تفد على الله عز وجل بعمل صالح كأنك صمت الدهر كله! تجيء عند الله عز وجل وأنت تظن أنك لم تعمل الكثير، ما كنت تصوم الإثنين والخميس مثلاً ولا الأيام البيض، ولكنك كنت تحافظ على ستة من شوال، فلو تقبل الله عز وجل منك هذا العمل برمضان وستة من شوال فكأنك صمت ٣٦٠ يومًا كاملة وهذا من كرم الله عز وجل ولطفهِ بنا.

قبل خروجنا من هذه النقطة الاستمرار على العمل الصالح، أود تقسيمها تقسيمًا سريعًا،

وهي الأصول الأربعة، العلم والعمل والدعوة إليه والصبر عليه،

ولتحفظوها فهي مجموعة في سورة العصر: { وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ) " إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا " هذا العلم علم الإيمان فعلموا به، " وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ " هذا العمل، "وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ" الدعوة إليه، " تَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ " الصبر عليه،

لماذا نريد هذه؛ لأننا حين نتكلم عن الاستمرار في العمل الصالح يتوه الإنسان، ماذا أفعل بعد رمضان وقد أغلق المصلى ولا شيخ يختم؟ ماذا أفعل الآن؟ في لقاءاتنا القادمة سنأخذ هذا بالتفصيل، لكن ضعوا هذه الأربعة أمامكم،

في البداية تكلمنا عن متانة البناء، وهو العلم، ففي شغل تشتغله عل نفسك، ولو كان عمرك ٦٠ أو ٧٠ سنة، أمهاتنا في التحفيظ تجيء الواحدة عمرها ٧٠ بعكازها وبعضهم يمشي بأسطوانة الأكسجين وراءها يوميًا، ونعن نتعذر بالوعكات الصحية وهؤلاء لم يمنعهم ضعفهم من حلقات القرآن، ويحضرون وعلى ماذا؟ نستقل بعملهم يحفظون تبارك في سنتين، ونظن أنه سيفوتهم العمر وهم لم يحصلوا ثم نتفاجأ أنهم يختمون القرآن في النهاية، وقبلنا كذلك نحن الشباب الذين كانوا يتعكزون بنا سبقونا بإصرارهم، ولذلك لا عذر للإنسان، أن يعمل على متانة نفسه، فالمستقبل القادم لا نعلم من سيستطيع تحمله، ولكن بالتأكيد لن يصبر عليه الضعفاء وأصحاب النفوس المهزوزة، فلابد أن تعمل على متانة بنائك الداخلي.

اقرأ كتبًا في العقيدة، متى كانت أخر مرة درست فيها عن الصلاة أو الصيام؟ متى درست الفقه؟ ابحث عن الحلقات تعلم العلم الشرعي الصحيح، قد يظن الإنسان أن المصادر متوفرة طوال الوقت، كل المسائل موجودة على الإنترنت، ولكن في الحرب الأخيرة على غزة صودرت كل الآراء عن القضية الفلسطينية، فكان الذي يريد أن يتكلم عن القضية عليه أن يتحايل على المواقع كإزالة التنقيط مثلا أو استخدام الرموز والإشارات، فمن يضمن لك أن العلوم الشرعية ستظل متاحة للأبد،

هذا الترف العلمي ليس لدينا أي ضمان في أنه لن يصادر في أي لحظة. الشيخ ابن باز وابن عثيمين الآن تراثهم وارد ولهم مواقع على الانترنت، ولكن من يضمن أن تستمر هذه المواقع؟

كما حصل مع فيسبوك عندما وقفوا ضد الآراء المعادية لليهود، وصار المرء عندما يبحث عن الحق لا يجده! فما الذي يجعلك تضمن أنك غدًا ستجد المعلومة الصحيحة عن دينك وعن إسلامك؟

لذلك يجب أن تستغل الرخاء والأمن والأمان الذي أنت فيه لتتعلم، فلا تهمل ما حولك وتظن أنك لا تحتاجه، فأنت لا تعرف ما الذي قد يحصل في العالم، من المهم أن تستنير بنور الله عز وجل وتعمل على متانه علمك، وابحث عن معلم الناس الخير، واثنِ ركبك في حلق العلم، والعقيدة، والتفسير والسنة، فكل من يستطيع أن يشتغل بهذا الطلب وأن يعلم غيره وأن يأخذ شيئًا من إجازة أو غيرها فليفعل ذلك.

يجب أيضا أن يكون لك نصيب من القرآن فتشتغل على متانة علمك من القرآن، فالآن نحن أحوج من أي وقت مضى إلى أن يكون القرآن في صدورنا، وأن نستحضر آياته في كل موقف يمر علينا، فالآيات عندما يستحضرها المؤمن وتكون في قلبه فهي ما يوقفه عن الحرام، هي زواجر تبعدك عن الحرام.

وتخيلوا هذا الصدر المملوء بالقرآن كيف تزاحمه معصية؟ لن تمر عليه معصية إلا على استحياء شديد، لا تستطيعك المعصية وأنت في صدرك سورة البقرة وآل عمران والأعراف والأنفال، فلا تدخل في قلبك.

هذا لعلمك، ثم يكون لك شي لعملك، فيتحول كل هذ العلم إلى عمل، (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) (الكهف:١٠٧)،

لا يوجد شيء في ديننا اسمه إيمان قلبي، أو إيمان غيبيات من غير عمل، ورب متبرجة هي أفضل عند الله من متنقبة مثلا، نحن لا نفاضل بينهم عند الله، فلا نحكم على أي أحد، لكن أيضًا لكل شيء صورة وبنيان، تخيل موظف في شركة يقول لمديره أنني صحيح لا أحضر وأتغيب لكن لا أحد يحب الشركة أكثر مني، ما الذي يفيده حبه هذا وهو لا يحضر ولا يعمل؟ فعندما نتحدث عن الإيمان فالإيمان اعتقاد في القلب وتصديق باللسان وعمل بالجوارح. فيتحول العلم إلى عمل، فعملك في رمضان عليه أن يمتد معك العمر كله،

فكما قلنا علامة القبول استمرار الطاعة، صيامك في رمضان ما نصيب بقية الشهور منه؟ إذا لم تستطع صيام الإثنين والخميس فلتصم ثلاثة أيام من كل شهر، ٣٠ يوم في رمضان مع ٦ في شوال مع ٩ ذي الحجة مع ٣ أيام من كل شهر صارت ٨١ يوما ،وهذا دون تضعيف، وبالتضعيف تكاد تقارب ١٥٠ يومًا، ونحن لو نقرأ عن صيام داود عليه السلام أنه كان يصوم يومًا ويفطر يومًا، نستثقل ذلك، ولكن يمكنك أن تفعله بشيء أخف، لو صمت الإثنين والخميس أو ثلاثة أيام من كل شهر مع ٦ من شوال و٩ من ذي الحجة كأنك صمت صيام داود.

فلا يفتك عمرك، ولا تفتك الأيام والأسابيع وأنت لم تعمل فيها عملا صالحًا، ولا يجب على يومك أن ينقضي دون قيام الليل، جربنا أن نقيم ١١ ركعة في المساجد هذا العام في نصف ساعة، أربع تسليمات كانت تنقضي سريعًا، وكنا نريدها لو تزيد، إذا فنحن نستطيع الزيادة، فلا يثقلها عليك الشيطان، هذه الأربع تسليمات تستطيع القيام بها في أيامك العادية، أو تقسيمها ركعتين بعد العشاء وركعتين قبل النوم، المهم أنه لا يمر عليك الليل بطوله وأنت لم تضع فيه شيئا من قيام الليل والوتر ودعاء الله عز وجل، فالوتر سنة مؤكدة، فكان النبي عليه الصلاة والسلام يوصي أصحابه بصوم ٣ أيام من كل شهر والوتر كل يوم سفرًا أو حضرًا.

إذا بعد الصيام والوتر علينا أن ننظر إلى علاقتنا بالقرآن، فلو كنت تقرأ جزءًا في اليوم حاول قراءة جزئين، ولو كنت تقرأ جزئين حاول قراءة ثلاثة، والموضوع ليس صعبا، فالجزء الواحد لا يأخذ أكثر من عشرين دقيقة بالكثير، حاول أن تختم في الشهر مرة ومرتين،

نحن في زمن علينا فيه الاكثار من العمل الصالح، فلا تأخذ نفسك بالأقل، فالزمن الآن زمن استقتال في المنكر والشر، فيجب على أهل الخير أن يستكثروا من العمل الصالح. تخيلوا السماء ما يصعد فيها من سيئات وذنوب وفسق وفجور وأنت عملك الصالح أيضا يصعد، وإنما يستدفع العذاب بعمل الصالحين والمصلحين، فكلما كثرت أعمال الخير والصلاح التي تصعد من بلد ما إلا ودفع عنهم العذاب، وأما إذا صار الناس كلهم كقوم لوط أو قوم ثمود واستشرى فيهم الشر كانت نقمة الله وعذابه عليهم أسرع، ولذلك إذا كان أهل الفجور والفسق يستعينون بفجورهم فالمفترض على أهل الخير أن يستكثروا من العمل الصالح ويدعون إليه.

إذا قلنا العلم، ثم العمل، ثم الدعوة إليه.

العمل والاستمرار على الطاعة من علاماتها أيضا أن يحبب الله عز وجل لك الطاعة ويكرهك في المعصية، فتجد في قلبك أنك صرت تحب شيئا ما كنت تتخيل بحياتك أنك ستحبه، أنا من الناس الذين ما كنت أتخيل في حياتي أني في يوم من الأيام ممكن أن أحب عباءة الرأس، ما يمكن يعني في شبابي ولا في شخصيتي ما كنت أتخيل أني أنا ألبس عباءة رأس ولا أني أحبها، ثم لما من الله عز وجل علي ولبستها صارت الآن جزءًا مني ومن الأشياء التي أسأل الله أن يقبضنا عليها إذا متنا وألا يغير علينا وأن يثبتنا على ما يحب ويرضى.

مثل هذا وغيره من الأشياء التي كنت في يوم من الأيام لا تحبها ولا يعجبك شكلها، ولكن لما تعرف أنه شيء يحبه الله عز وجل تتغير النظرة عندك، ثم لما تفعله وتستديمه يصبح جزءًا منك، ولذلك علامات القبول في رمضان أنك لا تفعل الطاعة وحسب وإنما تصبح تحبها، ربما في بداية رمضان كنت تستثقل القرآن، وتمل منه، ثم يصبح القرآن جزءًا منك وتصير تترنم فيه ويصير هو حبك الأول.

وعلامة القبول أيضًا أن تكره المعصية، المعصية التي كنت مترددا حتى أن تدعو الله أن يزيل حبها من قلبك، إلى هذه الدرجة من الحب هناك أناس لا تدعو أن يزيل الله هذا الذنب من حياتها، لأنها تحبه، إلا هذا الشيء لا تريد تغييره وهي تعلم أنه حرام،

فمن فضل الله عز وجل وكرمه لما يتقبل منك العمل أن هذا الشيء الذي ظننت أنه جزء منك وأنه لا يمكن بيوم من الأيام أن تتركه يبعدك الله عز وجل عنه ويكرهك فيه، وييسر لك الخير ويثقل وينكد ويصعب عليك الشر الذي تريديه، قال الله عز وجل في سورة الليل: (فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى (٥) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى (٦) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى (٧) وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى (٨) وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى (٩) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى (١٠))، واليسرى هي طريقه للجنة، فالله عز وجل يهيئ له الدرب إليها، لماذا؟ لأن الله عز وجل قبل منه تلك الطاعة، ولذلك كان من دعاء النبي عليه الصلاة والسلام: "اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا الْإِيمَانَ وَزَيِّنْهُ فِي قُلُوبِنَا"[أخرجه البخاري في الأدب المفرد، وقال الألباني: صحيح]

لأنه ليس كل عمل صالح تستطيع أن تحبه، فنفوسنا لا تحب كل ما فيه خير ولا تميل إليه بالضرورة، فقد لا يعجبك شكله أو طريقته، فهذه دعوة الرسول عليه الصلاة والسلام وحاجتنا إلى مثل هذا الدعاء أكبر، يقول النبي عليه الصلاة والسلام: "اللَّهُمَّ بَاعِدْ بَيْنِي وَبَيْنَ خَطَايَايَ، كَمَا بَاعَدْتَ بَيْنَ المَشْرِقِ وَالمَغْرِبِ، اللَّهُمَّ نَقِّنِي مِنَ الخَطَايَا كَمَا يُنَقَّى الثَّوْبُ الأَبْيَضُ مِنَ الدَّنَسِ، اللَّهُمَّ اغْسِلْ خَطَايَايَ بِالْمَاءِ وَالثَّلْجِ وَالبَرَدِ" [أخرجه البخاري، صحيح]

شرح شيخ الإسلام ابن تيميه لهذا الحديث من الأعاجيب، تجدونه في مجلد الفتاوى، لماذا قال الماء البارد مع أن الماء الساخن هو الذي يعقم ويطهر الأوساخ؟ ارجعوا إلى الشرح لتجدوا المعنى.

الشاهد منه أن النبي عليه الصلاة والسلام يسأل الله أن يباعد بينه وبين الذنوب والخطايا كما يباعد بين المشرق والمغرب، هل تساءلت يوما عن الذنوب والخطايا التي كان النبي عليه الصلاة والسلام خائفا منها؟ وعن الذنوب

والخطايا القريبة منا نحن الآن؟ على هواتفنا وحولنا وبيننا، كان رسول الله يهرب من الحرام ويعتصم بالله فيقول اللهم باعد بيني وبين الذنوب والخطايا.

العلامة الخامسة هي: استصغار العمل وعدم استكثاره وهذا شيء مهم لأن الله عز وجل يقول لنبيه في سورة المدثر:)يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ١ قُمْ فَأَنْذِرْ ٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ٤ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ٥ وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ(٦ وهذه في بدايات الدعوة، ومع ذلك يأتي المنهج من أوله يخبره الله عز وجل أنك إن قمت بكل هذه الأعمال فلا تظن أنك عملت عملا كثيرا (فلا تمنن تستكثر) فلا تستكثر عملك لله، حاربك قومك، طردوك من مكة، فعلوا ما فعلوا، لا تظن أن ذلك كثير في طاعة الله عز وجل، قال الإمام ابن القيم: كلما شهدت حقيقة الربوبية وحقيقة العبودية (عرفت من الله وعرفت من تكون أنت) تبين لك أن ما معك من البضاعة لا يصلح للمليك الحق ولو جئت بعمل الثقلين خشيت عاقبته، وإنما يقبله الله بكرمه وجوده وتفضله ويثيبك عليه أيضًا بكرمه وجوده وفضله.

فتخيلوا أن الله يتقبل منك هذا العمل، ارجعوا فقط ساعة أو ساعتين للوراء إلى آخر صلاة لكم، ماذا تكون ليتقبلها الله؟ أتذكرون حتى ما قرأتم بعد سورة الفاتحة؟ أتذكرون بماذا كنتم تفكرون في الركوع أو السجود؟ أكان قلبكم حاضرًا ويشعر بعظمة الله عز وجل؟

فمتى ما عرف الإنسان حقيقة الربوبية وحقيقة العبودية عرف أن ما معه لا يصلح أن يقدم لله عز وجل. ولذلك قال النبي عليه الصلاة والسلام في الحديث: «لَوْ أَنَّ رَجُلًا يَخِرُّ عَلَى وَجْهِهِ، مِنْ يَوْمِ وُلِدَ إِلَى يَوْمِ يَمُوتُ، هَرَمًا فِي مَرْضَاةِ اللَّهِ، لَحَقَّرَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»[أخرجه أحمد في مسنده، وقال الألباني: حسن]، هذا رجل فنى عمره وهو في سبيل الله ولكن احتقر عمله يوم القيامة، فكيف بالإنسان الذي ليس عنده عمل ليس عنده شيء ثقيل ليس عنده شيء يشعر أنه أصلا يستطيع أن يستدفع فيه شيئًا من الشر، أن يدعو الله بعمل صالح لو طبقت عليه صخرة، عمله الصالح وخبيئته من السر هل يضمن وجودها أصلا؟

العلامة السادسة هي:

أن تداوم على الطاعة، قلنا قبل قليل الاستمرار على الطاعة، أن تثبتها فتستمر عليها، وهذه المداومة هي علامة من علامات حسن الخاتمة، مداومتك على الطاعة أن تكون معك، إلى أن تكون معك في النهايات فتكون سببًا في حسن خاتمتك، عَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدٍ خَيْرًا اسْتَعْمَلَهُ» فَقِيلَ: كَيْفَ يَسْتَعْمِلُهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «يُوَفِّقُهُ لِعَمَلٍ صَالِحٍ قَبْلَ المَوْتِ» [أخرجه الترمذي في سننه، وقال: حديث صحيح] ,

واحدة من جارات أختي في رمضان هذا أخرجت تصريح عمرة لها ولزوجها وألحت على أمها وأبيها أن يعتمروا معها، فرفضوا فأصرت عليهم وأخرجت لهم التصاريح، وذهبوا كلهم لأداء العمرة، فأتموها وعادوا إلى الفندق، فتوفيت في الفندق، دون أي مقدمات، ألحت على والديها تعمرهم بهذه العمرة فإذا ما انتهت توفاها الله، أسال الله أن يتقبلها بقبول حسن، وما أجمل من أن تموت وأنت بار بوالديك وأنت مستعد، ربما كل الآباء والأمهات تتفتت قلوبهم على العمرة.

يقول ابن كثير كلمته المشهورة: **لقد أجرى الله الكريم عادته بكرمه أن من عاش على شيء مات عليه ومن مات على شيء بعث عليه يوم القيامة**، هذه قاعدة للحياة، من شب على شي شاب عليه ومن عاش على شيء مات عليه ومن مات على شيء بعث عليه يوم القيامة، فمن عاش على الطاعة يأبى كرم الله أن يموت على معصية، ولذلك في الحديث عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَجُلًا كَانَ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَوَقَصَتْهُ نَاقَتُهُ وَهُوَ مُحْرِمٌ، فَمَاتَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اغْسِلُوهُ بِمَاءٍ وَسِدْرٍ، وَكَفِّنُوهُ فِي ثَوْبَيْهِ، وَلاَ تَمَسُّوهُ بِطِيبٍ، وَلاَ تُخَمِّرُوا رَأْسَهُ، فَإِنَّهُ يُبْعَثُ يَوْمَ القِيَامَةِ مُلَبِّيًا»[أخرجه البخاري، صحيح]

وكان هدي النبي عليه الصلاة والسلام إذا عمل عملا أثبته، ليس كالذين يعبدون الله حسب أهوائهم، للنفس فترات تفتر فيها، والمفترض على الإنسان ألا تنزل نفسه عن سنة النبي عليه الصلاة والسلام، وهذا من سنته عَنْ عَائِشَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «سَدِّدُوا وَقَارِبُوا، وَاعْلَمُوا أَنْ لَنْ يُدْخِلَ أَحَدَكُمْ عَمَلُهُ الجَنَّةَ، وَأَنَّ أَحَبَّ الأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ أَدْوَمُهَا وَإِنْ قَلَّ»[أخرجه البخاري، صحيح] المهم أن تكون دائمة، والمهم أنه إذا عندك عمل في الصباح فلا تؤخره لليل وإذا عندك عمل في الليل فلا تؤخره للصباح، والمهم أن تجدول الأعمال الصالحة، فما تغيب شمس ولا تشرق إلا وأنت واضعها في يومك، أرأيتم كيف يجمع الناس أموالهم، وكيف يجهزون حقائب السفر، ويضعونها قبل أسبوع وهم يرتبون فيها، خشية أن ينسوا شيئا، فهذه هي حقيبة سفر الآخرة.

تذكرون مطارات الراحلين التي تكلمنا عنها، مطار الراحلين هو مغسلة الأموات، وحقائب سفرك هذه تسبقك إلى قبرك، فيجب عليك في كل يوم أن تضع فيها شيئا ينفعك وقتها، لذلك كل يوم عندما تضع رأسك على الوسادة فكر فيما وضعت في حقائبك من عمل صالح، كم تسبيحة وكم تهليلة، وكم ركعة وسجود، كم ذنبا تركته لله، حقائب سفرك دائما أبقها على جنب مفتوحة تخبئ فيها أعمالك الصالحة، حتى تأتيك في يومك الأخير فيقول لك عملك: أنا عملك الصالح الذي كنت تعمل، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا مَرِضَ العَبْدُ، أَوْ سَافَرَ، كُتِبَ لَهُ مِثْلُ مَا كَانَ يَعْمَلُ مُقِيمًا صَحِيحًا»[أخرجه البخاري، صحيح], وَ «مَا مِنَ امْرِئٍ تَكُونُ لَهُ صَلاَةٌ بِلَيْلٍ فَغَلَبَهُ عَلَيْهَا نَوْمٌ إِلَّا كَتَبَ اللَّهُ لَهُ أَجْرَ صَلاَتِهِ، وَكَانَ نَوْمُهُ صَدَقَةً عَلَيْهِ»[أخرجه النسائي في سننه، وقال الألباني: صحيح]

أي حتى لو كنت مريضا في يوم ولم تقدر أن تصلي الليل يكتب الله لك أجر صلاتك لأنك كنت مداوما عليها، فيوم واحد تغلط فيه أو يذهب عنك فمن كرم الله أنه لا يصير يوم فراغ، فتأتي يوم القيامة وهذا يوم صفر وإنما يعبأ لك بعملك الذي كنت دائما تداوم عليه، وهذا من فضل الله وكرمه، ولذلك من يبخل على نفسه هو الذي يبخل عن عمل الخير في وقت الرخاء فلو مرض الإنسان أو تعب لا يسجل له شيء بشكل مستديم.

العلامة السابعة وقبل الأخيرة وهي من أهم العلامات:

عدم الرجوع إلى الذنب، وأخرتها لأن غالب من يفعل كل العلامات الستة الأولى ويتفقد قلبه في استمرار للطاعة ومداومة عليها ووجل في القلب فما يجد أصلا في نفسه رغبة أو هوى لرجوعه إلى الذنب مرة أخرى ولذلك من علامات قبول العمل وعادة يضعها العلماء في أول علامة هي عدم الرجوع إلى الذنب. وصف الله عز وجل المنافقين بوصف مخيف فقال الله عز وجل عنهم: (وَإِذَا جَآءُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَقَد دَّخَلُواْ بِٱلْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ

خَرَجُواْ بِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا كَانُواْ يَكۡتُمُونَ)(المائدة: ٦١)، دخلوا رمضان بمعصية وخرجوا من رمضان بمعصية،

يقول الله عز وجل عن هؤلاء المنافقين (وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به)، لأن الإنسان الذي يمر بمواسم الطاعة وبمحطات الطاعة ثم لا يتغير شيء فيه البتة، لا يترك حراما ولا ذنبا ولا يتوب إلى الله عز وجل هذا يجب أن يتفقد نفسه تفقدا شديدا ويراجع نفسه ويخشى أن يكون قد رد عليه العمل لأن علامة القبول ألا ترجع لذنبك أبدا،

وليس شرطا في كل الذنوب لكن كانت عندك عشرة فصارت خمسة أو ستة، فتبت عن البقية توبة نصوحا، فلا ترجع نفسك إليها أبدا، كنت أسودا فخرجت رماديا، أو أسودا وأبيضا، لكن المهم ألا تخرج بنفس هذا السواد الذي دخلت به ولا يرجع قلبك بنفس ذنوبه ومعاصيه، ولذلك من يدخل في رمضان ولم يورثه توبة ولم يورثه استغفارا ولا إقلاعا عن معصية فهذا يجب أن يسائل نفسه هل عبدت الله حقا؟ هل بالفعل كنت تصلي وتأتي للمسجد وتقرأ القرآن وأنت تتعبد الله حقا؟

لأنه لو كانت عبوديتك حقا ما طابت نفسك أن تعصيه من أول يوم ولا طابت نفسك أن تعصيه مباشرة، ولذلك عندما جاء أحدهم إلى الفضيل بن عياض وقال: "إني أبيت معافى عندي طهوري ثم لا أقوم الليل"، يعني أنا أبيت بصحة وعافية وعندي طهوري وكل شي مهيأ لي لكني لا أقوم الليل، قال: "قد كبلتك خطيئتك"،

هو ليس قرارك الشخصي ولا خيارك إنما هو توفيق من عند الله عز وجل، أنت من الممكن أن تضبط المنبه وتنام مبكرا وتبذل كل الأسباب ولكن لو لم يرد الله أن يقيمك ما أقامك، لذلك من المهم دائما أن ترجع إلى الأساس، إلى علاقتك مع الله عز وجل، فقال الفضيل بن عياض إذا لم تقدر على قيام الليل وصيام النهار فاعلم أنك محروم مكبل قد كبلتك خطيئتك، ولا نأخذ هذا بمعن اليأس والإحباط، ولنكن لنعلم أين مربط الفرس، إذا كبلتك خطيئتك فلتبتعد عن هذه الخطيئة، ولا تسمح لنفسك أن تقيدك،

ارجع إلى عمليات التنظيف، فرش ذنوبك، ما الذي لا تستطيع تركه؟ نفسك معلقة بأي ذنب؟ اترك صغائر الذنوب التي تستطيع تركها بسهولة، اجعل ذنبك الأكبر مستضعفا ووحيدا، ما عنده جنود تحميه، كل ذنب وكل كبيرة عندها جنود من الصغائر تحميها، هذه الصغائر يضعها لك الشيطان ليؤدي بك إلى الأكبر، فنظف نفسك واترك هذه الصغائر، إلى أن تبقى وجها لوجه مع ذنبك الكبير، فيكون قابلا للانكسار في أي لحظة،

لأن جيوش الخير التي بنيتها في علمك وعملك والدعوة إليه صارت أقوى من الذنب، فيصبح أكثر هشاشة، ولو جلستم مع أي من التائبين من أي ذنب تجدون أنهم كانوا واضعين لأنفسهم قوائم من ذنوب كبار لم يتخيلوا أن يتركوها، قد يقول الإنسان أنا من الممكن أن أصلي، أن أصوم الإثنين والخميس، لكن هذا الذنب لا يمكن أن أبتعد عنه، ويشعر أن بينه وبين التوبة سنين ضوئية، لكن لو منّ الله عليك بالقبول وعرف صدق نيتك وأن شيئًا من الخير عملته فتقبله الله منك و نظر إلى عملك الصالح فرضي عنك، فتأتي في يوم من الأيام تستيقظ فتجد ذلك الذنب وقد كرهته، بدون مجاهدة وبدون حرب وبدون كل ماكنت تتخيل، تجدك بين يوم وليلة وأنت لا تريد أن تقترفه ، وتمر

بك السنوات ولا تتذكر آخر مرة قمت به، فمربط الفرس هو الرجوع إلى الله، اربط حبالك مع الله، الله يكفيك نفسك وادع دعوة نوح عليه السلام: رب إني مغلوب فانتصر، في انكسارك قل يا رب أنا مغلوب من نفسي فانتصر لي، الله ينصرك كما نصر نوحًا على العالمين.

العلامة الثامنة والأخيرة:

محبة الصالحين وكره أهل الشر والمعصية، هذه نقطة مهمة، معلوم أنه من أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله، فحب من يحب الله عز وجل هذي علامة من علامات القبول وكره من يكره الله هذه علامة من علامات القبول. ومهم أن تتفقد قلبك إلى من يميل ومن يحب وإذا رأيت قلبك يميل إلى أناس وأشخاص أو ممثلين أو مغنين، فتفقد قلبك، لأن هذا الحب ستجازى عليه خيرا بخير وشرا بشر.

لو سألت من هم الفائزون؟ نحن في العيد ماذا نقول؟ "من العايدين ومن الفايزين" وهذه كلمة جميلة، تعني "من العايدين" أن تعودها، ونرد عليها "من الفايزين" لكن لو تأملت هذه المعايدة بالذات وسألت نفسك من الفائزين بماذا؟

فائزون بالقبول وبالعتق وبالمغفرة، عندما أخبر الله عز وجل عن الفور قال: (فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَاز) (آل عمران:١٨٥)، فالفوز الحقيقي هو لمن زحزح، زحزح يعني كأنه كان قريبًا ثم ابتعد، انظروا إلى الكلمة،

فلا يعني ذلك أنه كان بعيدا أصلا عن النار، أو لمن يقترب منها، بل يقول الله سبحانه (من زحزح) أي من كان قريبًا قريبًا جدا ثم تزحزح عن النار (وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ) (آل عمران:١٨٥)، ثم يقول الله عز وجل في سوره الحشر: (لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ ۚ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ)(الحشر:٢٠)، فكل من هم ليسوا بأصحاب الجنة فما هم بأصحاب الفوز، وقال الله عز وجل في سوره التوبة عن أهل الجنة: (خَالِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ)(التوبة:٨٩)، ولا يأتي الفوز العظيم إلا في ذكر الجنة وأهلها، فهؤلاء حقًا هم الفائزون الذين فازوا في رمضان،

ونسأل الله أن يجعلنا وإياكم ممن فازوا بمغفرته وعتقه وغفرانه وأن يجعلنا الله عز وجل ممن أحبهم وأحبوه وممن رضي عنهم و أرضاهم ونسأله سبحانه رحمة من عنده تغنينا عمن سواه يلم بها شعث قلوبنا ويغفر بها ذنبنا ويرحم بها ميتنا ونسأله رحمة من عنده تجعلنا بعد هذا الشهر خيرًا منا قبله.

وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد ألا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

تنويه: مادة المحاضرة جمعت من مصادر عدة وجميع المحاضرات في المدونة ليست كتابة حرفية لما ورد في المحاضرة؛ إنما تمت إعادة صياغتها لتُناسب القرّاء وبما لا يُخلُّ بروح المحاضرة ومعانيها.